

وأما الآثار فمنها ما روى عن سعيد بن أبي بردة قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى: " أما بعد، فإن اسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته، وإياك أن تزيع فتزيع عما لك، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فترعت فيها تبتغي بذلك السمن، وإنما حثفها في السمن، والسلام ".

ثم بين للخليفة أنه لم يدخر وسعاً في بيان ما طلبه منه الخليفة، ورجا منه أن يعمل بما فيه دون أن يظلم مسلماً أو معاهداً، ويتضح هذا من قوله: " وقد كتبت لك ما أمرت به، وشرحت لك وبينته، فنفقهه وتدبره، وردد قراءته حتى تحفظه، فإنني قد اجتهدت لك في ذلك، ولم آلك والمسلمين نصحا، ابتغاء وجه الله وثوابه، وخوف عقابه. وإنني لأرجو - إن عملت بما فيه من البيان - أن يوفر الله لك خراجك من غير ظلم مسلم ولا معاهد، ويصلح لك رعيته؛ فإن صلاحهم بإقامة الحدود عليهم ورفع الظلم عنهم، والتظالم فيما اشتبه من الحقوق عليهم... فوفقك الله لما يرضيه عنك، وأصلح بك، وعلى يدك ".

فهذه النصائح لها أهميتها ودلالاتها، فهي من جانب تدل على رحابة صدر الخليفة فلم يتبرم عند سماعها، ولو حدث شيء من هذا لنقل إلينا لتوفر الدواعي إلى نقله، وما هذا إلا لما تمتع به العلماء من منزلة سامية لدى الخلفاء، فكانوا منهم بمنزلة القادة والموجهين، وهي من جانب آخر تعطينا صورة صادقة عن مدى حرص " أبي يوسف " على العمل بما جاء في كتابه من سياسة مالية يجب اتباعها في جباية الأموال وتوزيعها، فكأن " أبا يوسف " يقول للخليفة: " هأنذا قد قمت بما فرضه الله على من بيان أحكامه، وتوضيحها، وبقي عليك أنت واجب أشد خطراً وأعظم أثراً، إلا وهو جانب التنفيذ، فإنك صاحب السلطة في البلاد، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وقد استخدم أبو يوسف في هذه النصيحة عنصر التأثير النفسي عن طريق التكرار والالتيان بالموعظة في ثنايا الكتاب، إذ على الرغم من أنه استهل الكتاب